ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Mahmoud Houssein Mousa

Mustansiriya University
College of Basic Education

Email:
Jaiuwudh23@gmail.com

Keywords:
Barbarians, Teutons, Germanic Invasions, Great Migrations, Anglo-Saxons, Franks..

A r t i c l e i n f o

Article history:
Received 27.July.2022
Accepted 30.Aug.2022
Published 1.Nove.2022

Tribal origins of European nations and the conditions for their first formation The French and English nation as a model

A B S T R A C T

The Germanic invasions are considered the most important event in ancient European history, as they moved Europe and the world to new eras after its overthrow by the Roman Empire. Since the fifth century AD, Western Europe has become mostly Germanic kingdoms, but the Franks and the Anglo-Saxons are the only two kingdoms that were able to be stable, lasting and developing in the vastness of the Latin civilization. The crossing to the imperial stage after centuries of wars and expansion between
Germanic tribes and kingdoms, and by the tenth century AD, the features of two great nations, the French and the English, became clear. It cannot be traced back to a specific historical stage, but the most important role of the powerful kings and their vision of uniting the scattered tribes and kingdoms and creating a political, social and cultural unity was the beginning of the formation of the nation.
Here is an attempt to clarify the tribal origins, that were the human and civilizational basis for the first formation of the French and English nations, and the conditions, that led to the first formation and the differentiation between them.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol49.Iss1.3242

الأصول القبلية للأمم الأوربية وظروف تشكّلها المبكّر الأمة الفرنسية والانجليزية نموذجاً

م.م. محمود حسين موسى

كلية التربية الأساسية / الجامعة المستنصرية

الملخص.

تعتبر الغزوات الجرمانية الحدث الأهم في التاريخ الأوربي القديم، فهي التي نقلت أوربا والعالم الى عصور جديدة بعد اسقاطها الامبراطورية الرومانية، وأصبح الغرب الأوربي منذ القرن الخامس الميلادي بأغلبه ممالك جرمانية، لكن الفرنجة والانجلوسكسون هما المملكتان الوحيدتان اللتان استطاعتا الثبات والديمومة والتطور في رحاب الحضارة اللاتينية، والعبور الى المرحلة الامبراطورية بعد قرون من الحروب والتوسع بين القبائل والممالك الجرمانية، وبحلول القرن العاشر الميلادي اتضحت معالم أمتين كبيرتين الفرنسية والانجليزية، كانت القبائل الجرمانية والكلتية والرومانية وشعوب أخرى الأساس البشري والحضاري لتشكّلهما وتمايزاتهما البشرية والحضارية، وقد مرّ التشكّل الأول للأمتين الفرنسية والانجليزية بمراحل

معقدة ومتداخلة، لا يمكن ردها الى مرحلة تاريخية محددة، لكن العامل الأهم كان للملوك الأقوياء ورؤيتهم بتوحيد القبائل والممالك المتناثرة، وخلق وحدة سياسية واجتماعية وثقافية، كانت البداية لتشكّل الأمة.
هنا محاولة لإيضاح الأصول القبلية التي كانت الأساس البشري والحضاري للتشكّل الأول للأمتين الفرنسية والانجليزية، والظروف التي قادت الى التشكّل الأول والتمايز بينهما.
الكلمات المفتاحية: البرابرة ، التيوتون ، الغزوات الجرمانية ، الهجرات الكبرى ، الانجلوسكسون ، الفرنجة.

المقدمة. شكّل الصراع بين البداوة والحضارة أهم معالم العصور القديمة والوسطى، كانت الممالك تتوسع وتخضع القبائل أو تقوم بحماية حدودها بتأديب القبائل حين الغارات والغزوات، لكن لم يكن الانتصار دائما للدول، فقد انتصرت البداوة في محطات كبرى، أسقطت الامبراطورية الرومانية ومثلها سقطت الخلافة العباسية، وخلقت الغزوات الجرمانية واقعا جديدا في مفهوم الشعب أو الأمة، فما كان سائدا هو اخضاع الدولة أو استيعابها لشعوب أو قبائل أخرى، تصبح لاحقا جزءا من نسيجها الاجتماعي والثقافي، وكانت في المجتمعات القبلية رابطة الدم والولاء لزعيم القبيلة هي الرابطة التي تجمع الأفراد، غالبا ما يكون المجتمع فيها متجانسا اجتماعيا وثقافيا، أما في الدولة فكان الولاء للملك أو الامبراطور هو الرابطة التي تجمع الشعوب والقبائل المتعددة التي تتكون منها الدولة، المثال الأوضح هنا هو الامبراطورية الرومانية التي كانت تضم العديد من الشعوب المتنوعة ثقافيا واثنيا، اندمجت جميعها في حضارة متوسطية متجانسة الى حدّ كبير تحت راية الولاء للإمبراطور، مواطنون ورعايا ومعاهدون.

لكن بعد الغزوات الجرمانية وتأسيس ممالكها وفق التقسيمات القبلية، أصبحت السيادة للقبائل الغازية على مجتمعات كان فيها وحدة سياسية واجتماعية وثقافية متجانسة، اختلطت فيها الشعوب المغلوبة مع القبائل الغازية، وتحول هذا الخليط البشري بمرور الزمن الى أمم أوربية متباينة بعد حروب طاحنة بين القبائل والممالك.

يحاول هذا البحث رصد الأصول القبلية لأمتين من الأمم الأوربية الكبرى التي اتضحت معالمها بوقت مبكر من العصور الوسطى، الفرنسية والانجليزية، والتنوع والتداخل بين القبائل الجرمانية المتعددة، كانت الأساس الذي تشكّل منه النسيج البشري لهذه الأمم، والظروف التي رافقت تشكّلهما وتطورهما الحضاري، والتمايز بين هذه الأمم من حيث التكوين والثقافة والأصول القبلية، قسم البحث الى ثلاثة محاور رئيسية، يعالج الأول تاريخ القبائل الجرمانية والهجرات الكبرى كونها الأساس البشري لهذه الأمم، والثاني لتطور الممالك الجرمانية وتوسعها واندماجها خلال المرحلة الامبراطورية، والثالث يعالج التشكّل الأول للأمتين الفرنسية والانجليزية، ودور الملوك الأقوياء، ورؤيتهم بخلق بنية ثقافية وحضارية جامعة لنسيج القبائل والشعوب بعد مرحلة التوحيد السياسي.

اولا: عصر الهجرات الكبرى

ظهر الصراع بين البداوة والحضارة بأقوى صوره في عصر الامبراطورية الرومانية، كان صراعها طويلا مع البداوة والبربرة التي كانت تحاصرها من جهات عدة، انتهى بزوالها الى الأبد، ففي الشرق كانت قبائل بدوية رعوية مثل الهون والبفار والآفار والمجريين والمغول والأتراك، وفي الغرب كانت قبائل بدوية شمالية الكلت والسلاف والتيوتون[1] (عاشور، تاريخ، 1976، ص 55)، ويجمع المؤرخون على أن أوربا شهدت منذ الألف الأول قبل ميلاد السيد المسيح موجات جديدة من الهجرات الكبرى، حين عبرت القبائل التيوتونية – الجرمانية بحر البلطيق قادمة من الأراضي الاسكندنافية (نورمان، 1997، ص 146، العريني، د.ت، ص 81)، وقد استقرت هذه القبائل بين القرن السادس والثالث ق.م على سواحله الجنوبية (موس، 1967، ص 77–78)، وباتت سواحله تزدحم بالقبائل الجرمانية، ومسرحا للغارات والغزوات على أراضي الامبراطورية الرومانية التي ثبّتت حدودها في زمن يوليوس قيصر (الحروب الغالية)[2] مع عالم القبائل الشمالية بنهري الدانوب والراين، وشهدت الأقاليم التي سمّيت (جرمانيا) أي المناطق الشمالية التي تمتد من غالة حتى البلطيق تحولات

كبيرة بقدوم موجات من القبائل التيوتونية، وهي أكثر بدائية ووحشية من التي سبقتها، بعد توغلهم في الأقاليم المجاورة للإمبراطورية واختفاء أو خضوع الشعوب والقبائل القديمة (دوسن،1967، ص 92).

يصعب معرفة دوافع هجرات القبائل بدقة، فمازالت أسباب هجرات القبائل البربرية غامضة، لكن يمكن التخمين من دراسة سلوك البداوة المتشابه وصراعها مع الحضارة، فلا توجد أدلة مؤكدة غير الأدلة الأثرية (نورمان، 1997، ص 148)، ويرى المؤرخ ول ديورانت، أن سبب الهجرات الجرمانية إلى حدود الإمبراطورية كان لتحسين شروط العيش أو للغزو والسلب، لكن دخولها الإمبراطورية كان بسبب ضغط قبائل بربرية أكثر قسوة ووحشية وهم قبائل الهون (ديورانت، ج11، 1988، ص 59)، أما المؤرخ موريس بيشوب فيميّز بين نوعين من الغزوات، الأولى كانت بهدف السلب والغنائم اتسمت بالوحشية والتدمير، والثانية من أجل الاستيطان ولم تهدف الى التدمير، والدليل هنا اصطحاب النساء والأطفال[3] (بيشوب، 2004، ص 20)، ويرى أرنولد توينبي، أنه عندما تكون حالة الثبات والسلام بين الحضارة والبرابرة، يعمل الوقت دائما لصالح البرابرة، فقد نجح الجرمان بالإطاحة بالإمبراطورية والاستيلاء عليها فيما فشل الكلت في فترات سابقة (توينبي، مختصر، ج1، 1966، ص 238).

ويمكن تمييز ثلاثة أنواع من الكتل البشرية والقبائل التي كانت تعيش في الشمال الأوربي، وتبادلت الأقاليم الشمالية التي تحيط بالامبراطورية، الكلت والسلاف والتيوتون، هذه الكتل البشرية والقبائل هي التي ستنتصر، وتكون لاحقا العنصر البشري للممالك والامبراطوريات الأوربية بعد استقرار ممالكها، واندماجها مع بعضها ومع شعوب العالم اللاتيني.

الكلت. تؤكد الدراسات التاريخية بأن الكلت هم قبائل هاجرت من أواسط آسيا الى اليونان ثم الى ايطاليا، انتقلوا بعدها الى شمال وغرب أوربا (سعداوي، 1968، ص 8)، والكلت هم أقدم القبائل البربرية التي جاورت الإمبراطورية الرومانية، قاموا بحركة توسعية ضخمة، نهبوا فيها روما وخربوها في القرن الرابع قبل الميلاد (دوسن، 1967، ص 86–87)، فوجود الكلت وانتشارهم في وسط وشمال أوربا كان قبل الهجرات التيوتونية، وهم أول من سكن الأراضي الألمانية وغالة، وكانت سيطرتهم على مناطق واسعة في القرون الخمسة السابقة للميلاد، تمتد من ألمانيا حتى البلقان والجزر البريطانية، عرفهم الرومان باسم الغاليين، وقد طردتهم القبائل التيوتونية من شرق الراين قبل غزو يوليوس قيصر لغالة منتصف القرن الأول ق.م، سيطرت روما بعدها على قبائل الكلت في شمال ايطاليا واندمجوا فيها، ولم يوقف تقدم الرومان شمالا سوى قبائل الجرمان التي مازالت في طورها الأكثر بدائية وبربرية (دوسن، 1967، ص 88)، رحلت قبائل الكلت من مناطق ألمانيا في القرن الخامس ق.م بعد ضغط القبائل الجرمانية، وتفرقوا في غالة واسبانيا وبريطانيا (فرح، تاريخ، 2010، ص 17)، ولم يبقى للكلت سوى ايرلندا بعد فتح الرومان الجزر البريطانية في القرن الأول الميلادي (عاشور، تاريخ، 1967، ص 58).

السلاف. ليس هناك الكثير من المعلومات حول القبائل السلافية في العصور القديمة، لكنهم مثل الكلت، كانوا يتواجدون في الشمال على السواحل الجنوبية لبحر البلطيق قبل الهجرات التيوتونية (لانجر، 1948، ص 655)، وكانت حركتهم نحو الغرب وانتشارهم على الشواطئ الجنوبية للبلطيق، حصلت بعد الفراغ الذي خلّفته الهجرات الجرمانية في الشمال في القرن الخامس الميلادي (توينبي، مختصرج1، 1966، ص 261)، ثم تحركوا إلى ضفاف نهر الدانوب وشواطئ البحر الأسود الشمالية، وأواسط روسيا وفي القرن السادس الميلادي (فرح، تاريخ، 2010، ص 21)، كانوا ضحية لهجمات الهون القادمة من الشرق، وضغط القبائل الجرمانية عليهم من الشمال، مما عرّض الكثير منهم للاستعباد، وظهر من اسمهم مصطلح (عبيد Slave) في اللغات الأوربية (عاشور، تاريخ، 1967، ص 57، عمران، معالم، 1986، ص 65)، وقد عرف الرومان السلاف في القرنين الأول والثاني الميلاديين باسم الونديين (لانجر، ج2، 1948، ص 655)،

وظلّت القبائل السلافية في مناطق بعيدة منعتهم من التماس الحضاري مع الجنوب، ويرى المؤرخ أرنولد توينبي، أنهم أخفوا أنفسهم قرونا في الشمال في حياة البربرية، جعلهم هذا الوضع يفتقرون إلى الحافز للتطور، في وقت كان النزوح الجرماني قد تغلغل في العالم الروماني (توينبي، مختصر، ج1، 1966، ص 251–252).

الهون. الهون Hung، قبائل مغولية قدمت الى أوربا من حدود الصين عبر السهول الروسية، عُرفت بوحشيتها وسرعتها بالحركة والقتال على الخيول، خضعت لها جميع الشعوب التي اجتاحتها، استوطنت قبائل الهون بعد دخولها الامبراطورية مناطق بلغاريا الحالية سنة 325م، وأصبح أتيلا ملكا على مملكتهم سنة 444م، امتلك جيشا ضخما قدّر بنصف مليون مقاتل، هاجم الغال سنة 451م وانهزم جيشه أمام تحالف الامبراطورية مع القوط في معركة شالون الشهيرة، ثم غزا ايطاليا ووصل روما سنة 452م لكنه لم يقتحمها، وتحطمت امبراطورية الهون بعد موت ملكهم أتيلا، والحرب الأهلية بين أبناءه وثورة القبائل الجرمانية التي تحررت سنة 455م (اليوسف، ص 47–48).

التيوتون – الجرمان. هم مجموعة القبائل البربرية التي كانت تعيش البداوة بعزلة عن مراكز الحضارات المتوسطية في أقصى الشمال الأوربي في الأراضي الاسكندنافية منذ عصور قديمة، والمعروف عن الجرمان الأوائل نادر (فيشر، 1966، ص 16)، وتشير الدراسات الكلاسيكية[4] بأن الحضارات المتوسطية لا تعرف سوى القليل عن الشعوب التي كانت تعيش في وسط وشمال أوربا قبل القرن الثاني قبل الميلاد، أول اشارة كانت عند الاغريق في القرن الخامس ق.م، تؤكد وجود كتلة بربرية كبرى في غرب ووسط أوربا، أطلقوا عليها Kltoi أي الكلت ، وهذه المرحلة هي قبل هجرة الجرمان وتفرّق الكلت في أقاليم أخرى، لكن في القرن الأول ق.م توفرت معلومات عن الشمال بعد حملات يوليوس قيصر الذي كتب في مذكراته عن حياتهم ومجتمعاتهم وتنظيمهم السياسي، وهي أقدم معلومات عرفت عن قبائل الشمال (Todd,1992. P. 3–1)، وازادت معرفة الرومان بالقبائل عن طريق الحملات العسكرية والتجارة، لكن المؤرخ الروماني تاكيتوس[5] هو أول من كتب عن الجرمان كتابا تفصيلي (جرمانيا) في القرن الثاني الميلادي، يعتبر أهم ما كتب عن الجرمان في العالم القديم (العريني، تاريخ، ص 82).

أن تأثير قبائل التيوتون – الجرمان هو الأكبر في التاريخ الأوربي من بقية القبائل البربرية التي كانت تحيط بالامبراطورية (عمران، معالم، 1986، ص 64–65)، وهي كثيرة ومتنوعة، خضع بعضها للأقوى أو للاتحاد نتيجة مخاطر أو حروب، القوط والبرجنديون والوندال واللومبارديون والكمبري والفرنجة والانجليز والسكسون والألمان والآلان والسويفي والنورمان وغيرهم من القبائل (راوس، 1955، ص 2، فرح، تاريخ، 2010، ص 30)، وحسب تاكيتوس، يعشق الجرمان الحرية المطلقة ويمتازون بالذكاء والقدرة على كيفية الكلام مع صفات الكرم والنجدة (طرخان، 1958، ص3– 4).

أن تسمية الجرمانية فيها التباس وغموض، فمصطلح الجرمان جديد على الجرمان أنفسهم ومفردة أجنبية بالنسبة لهم (ديورانت، ج11، 1988، ص 59)، وهو مصطلح روماني أطلق على كل سكان جرمانيا أو على القبائل التي عبرت الراين وهاجمت غالة، أما الجرمان فكانوا يطلقون على أنفسهم مصطلح ثيوت Theut بمعنى الشعب، تطور لاحقا لكلمتي دويتش[6] Deutsch و Teuton الحديثتين (نورمان، 1997، ص 146)، ويعتقد بعض الباحثين بأن كلمة الجرمان مشتقة من كلمة وورمان Wahr–Mann بمعنى رجل الحرب، وبعد ذلك أصبح اسم الجرمان صفة تطلق على جميع القبائل التيوتونية (طرخان، 1958، ص 1–3).

بدأت قبائل منهم تتنقّل نحو الجنوب باتجاهين مختلفين، اتجه قسم نحو الغرب حتى وصلوا نهري الراين الدانوب، وهي القبائل التي طردت الكلت وحاربها يوليوس قيصر، وتحرك القوط نحو الشرق عبر بولندا حتى وصلوا سواحل البحر الأسود، وظلوا يتنقلون على الدوام سعيا وراء المراعي الجديدة (موس، 1967، ص 78، فيشر، 1966، ص 16)، ويرى

الدكتور عبد القادر اليوسف أن فشل محاولات قبائل الكمبري والقوط في الاستيلاء على وادي البو في ايطاليا نتيجة المقاومة الرومانية منذ سنة 101 ق.م، هو الذي دفع القوط للتحرك شرقا في السهول الروسية على حساب السلاف، وانقسم القوط الى مجموعتين، استقرت الشرقية على سواحل البحر الأسود الشمالية الشرقية، وبجوارهم القوط الغربيون، وبقربهم الوندال في مناطق الدانوب الأوسط بين فيينا وبودابست، وأن سبب الهجرة الثانية للقوط الغربيين والوندال نحو أراضي الامبراطورية كان بسبب اقتراب قبائل الهون التي دفعت انتصاراتهم القوط الغربيون الى طلب التماس من الامبراطور فالنز بعبور نهر الدانوب للاحتماء بحدود الامبراطورية فاستجاب لهم، وخضع الآلان للهون في السهول الروسية سنة 355م وبعدها انتصروا على القوط الشرقيين وأخضعوهم سنة 373م حتى انهيار مملكة الهون سنة 455م (اليوسف، ص 41-43).

أن الاختلافات بين القبائل الجرمانية قادم من تنوع تلك القبائل وطرق عيشها، فالفرنجة والانجليز والسكسون كانوا قبائل زراعية وحركتهم بطيئة، وأقل القبائل تأثرا بالحضارة الرومانية ودخلوها بوثنيتهم، أما القوط بفرعيهم والوندال كانوا يميلون للترحال وعدم الاستقرار، وكان تأثرهم بالحضارة الرومانية والمسيحية قد سبق دخولهم الإمبراطورية (هلستر، 1988، 54).

ثانيا. القبائل الجرمانية من البربرية الى الامبراطورية

شهدت المرحلة التي أعقبت انهيار الامبراطورية تطورات كبيرة في الغرب الأوربي، أصبحت الأقاليم الرومانية ساحة لحركة القبائل وحروبها المدمرة للاستيلاء على الأقاليم الغنية وخصوصا ايطاليا وعاصمتها روما، واستمرت الحروب بين الممالك الجرمانية للتوسع بعد القضاء على الهون سنة 455م، وتعتبر العصور الوسطى من أكثر عصور التاريخ تعقيدا وأهمية نتيجة امتزاج الشعوب المتنوعة والنظم والحضارات (عاشور، حضارة، 1976، ص 9)، ووصفت بالعصور المظلمة والبربرية، بربرية القوط وهمجية الوندال ووحشية الهون وأمثالهم من القبائل التي خلّفت الفوضى والدمار والجهل، لكن هذه الصورة لا تنطبق على القرون المتأخرة منها، حيث بدأت تشكّل معالم حضارة جديدة بعد استقرار الممالك والنظام السياسي (لو كوف، 2015، ص 145).

كان التطور الأخطر في عالم القبائل الجرمانية هو اقتحام القوط للامبراطورية، ويعتبر الدكتور عبد القادر اليوسف، أن معركة أدرنا بين القوط الغربيين والامبراطورية سنة 378م التي انتصر فيها القوط، وقتل فيها الامبراطور فالنز واضطرار الامبراطورية لمهادنتهم، كانت البداية الحقيقية للانهيار الروماني، فقد أعطى هذا الحدث القوط والقبائل الأخرى الحافز والجرأة على اقتحام أراضيها (اليوسف، ص 43-44)، وتدفقت موجات الغزو الجرماني الشامل منذ سنة 408م من قبائل القوط الغربيين وأخذهم روما سنة 410م، وتحرك الوندال والآلان لكل من ايطاليا وغالة واسبانيا واقتحم البرجنديون والفرنجة والألمان أقاليم غالة وسوسرا، وعبرت قبائل الجوت والانجليز والسكسون بحر الشمال الى الجزر البريطانية، واكتملت هذه الغزوات باجتياح اللومبارد شمال ايطاليا منتصف القرن السادس (لو كوف، 2015، ص 26).

وتأسس نوعين من الممالك الجرمانية في المرحلة الأولى من العصور الوسطى، الأول لم يعمر طويلا وهي ممالك القوط والوندال والبرجنديين واللومبارد:

- مملكة القوط الغربيون في ايطاليا ثم في غالة ثم اسبانيا (415-711م).
- مملكة القوط الشرقيون في ايطاليا ثم ذابوا فيها (493-553م).
- مملكة البرجنديون في سويسرا وغالة اندمجوا في امبراطورية الفرنجة (406-5؟؟)
- مملكة الوندال في شمال افريقيا قرطاج (429- 000)
- مملكة اللومبارديون في شمال إيطاليا (568-774م)

أما النوع الثاني من الممالك التي دامت الى المرحلة الثانية من العصور الوسطى، بعد التغلب على بقية القبائل والممالك وتحولهما الى امبراطوريات كبرى، مملكة الفرنجة في غالة، ومملكة الإنجلوسكسون في الجزر البريطانية (يوسف،1987، 72).

مملكة الفرنجة.

كانت قبائل الفرنجة بفرعيهم الأساسيين الساليين والريبواريين تسكن شمال المانيا، كانوا يستغلون أزمات الامبراطورية ليعبروا الراين من أجل النهب والسلب، وسمحت الإمبراطورية للفرع السالي بالاستقرار في أراضي بلجيكا الحالية كرعايا للإمبراطورية سنة 236م (موس، 1967، ص 89)، توغلوا في الغال سنة431م وجعلوا كولون عاصمتهم، وشاركوا في التحالف الذي حارب الهون 451م (اليوسف، ص 78)، ويعتبر الملك كلوفيس (481–511م) المؤسس الحقيقي للمملكة الفرنجية في الغال (هلستر، ص 61)، نجح بالتوسع في غالة والاستيلاء على برجنديا وطرد القوط الغربيون إلى اسبانيا (توينبي، تاريخ ج2، 1988، ص 36).

توسعت الامبراطورية الفرنجية وضمّت أغلب أقاليم الغرب والشرق الأوربي في عهد شارلمان الذي يعتبر أعظم ملوك الفرنجة وأوربا في العصور الوسطى، ففي عهده بلغت الامبراطورية أكبر اتساع لها بعد اخضاعه أقاليم شرق المانيا، وكانت مساهمته في التنظيم الاداري والاقتصادي والعسكري للإمبراطورية ذات أثر بعيد في الحضارة الأوربية، ويعتبر فاتح عصر متميّز وجديد لتاريخ الفرنجة وأوربا، فقد وضع اللمسات الأخيرة لعملية الصهر والاندماج للجرمان والرومان في وسط وغرب أوربا، واتضحت رؤيته بضم جميع القبائل الجرمانية في أوربا وصهرها في دولة واحدة (أمين و حسين، 1980، ص 107)، لكن التقليد البربري بتقسيم المملكة على الأبناء جعل انتصارات شارلمان والوحدة السياسية التي حققها تتمزق في عهد خلفائه، وانسلخت المانيا وبوهيميا وبافاريا وهنغاريا الى الأبد من الامبراطورية، وبقي الجزء الغربي للمملكة الفرنسية. ويرى المؤرخ توينبي، أن إمبراطورية شارلمان كان مقدر لها الفشل، وأن محاولات شارلمان غزو سكسونيا لإخضاعهم في المسيحية بالقوة قد مزّق وحدة المجتمع الغربي الناشئ (توينبي، مختصر ج1، 1988، ص 261).

الإنجلو سكسون في انجلترا

عبرت مجموعة من القبائل التي كانت تعيش في شمال ألمانيا وجنوب الدنمارك، الانجليز وفرع من السكسون والجوت إلى الجزر البريطانية في القرن الخامس الميلادي في جماعات صغيرة، بعد انسحاب الجيوش الروماني منها سنة 422م، واستمر تدفقهم نحو قرن من الزمان على شكل هجرات استيطانية (رواس، 1955، ص 22–23)، اجتاحوا معظم أراضي انكلترا الحالية عند نهاية القرن السادس (عاشور، تاريخ، ص 90)، وسيطروا على السكان الأصليين من الكلت الذين وصلوا بريطانيا منذ سنة 600 ق.م هربا من الجرمان في هجراتهم الأولى (سعداوي، 1968، ص 8)، وبهذا يكون الكلت قد وقعوا تحت رحمة القبائل الجرمانية مرتين.

وقامت في القرن الخامس والسادس الميلاديين عدة مستعمرات جرمانية صغيرة تحولت الى الممالك السبع، كان أولها مملكة كنت التي ضمت القبائل الكلتية المغلوبة والإنجليز والسكسون والجوت (رواس، 1955، ص 22–23)، وممالك إسكس و سويسكس و وسكس و انجليا الشرقية ومرسيا ونورثمبرلاند التي كان أهلها من الإنجليز، وقد استمرت الحروب والمنازعات بينها حتى استطاع أثلبرت ملك كنت (560–616م) أن يفرض سيادته على جميع تلك الممالك (ديفز، 1958، ص 32، عاشور: تاريخ ، 1967، ص 90)، واستطاع اجبرت ملك وسكس أن يغزو الجزء الجنوبي الغربي وهزيمة مرسيا عام 819م، وبذلك أصبحت وسكس أكبر قوة سياسية (عاشور، تاريخ، 1967، ص 92)، ويعتبر الملك الفريد العظيم المؤسس الحقيقي للأمة الانجليزية، وسار على خطى شارلمان برعاية التعليم والترجمة الى اللغة

الانغلوسكسونية، وبدأت القبائل الانجلوسكسونية التحول الى المسيحية منذ سنة 597م عندما وصل القديس أوغسطين مبعوثا من البابا، قام بتأسيس كنيسة كانتربري في كنت، أما اسكتلندا فكانت قد تحولت للمسيحية قبلهم بقرون، وبدأت الموجة الثانية لغزوات الشماليون على الجزر البريطانية من الدنمارك والنرويج من القرن الثامن حتى القرن العاشر الميلاديين، استوطنوها وحكموا الجزيرة بعد تأسيس امبراطورية النورمان وهي الفترة التي تعرف بعصر النورمان أو الفايكنج (رواس، 1955، ص 17–20).

ثالثا. التشكّل المبكّر للأمتين الفرنسية والانجليزية

تعود نشأة الظاهرة القومية بمستواها السياسي في أوربا الى عصر النهضة، وارتبط بعوامل متعددة، اقتصادية بالرأسمالية، اجتماعية بالبرجوازية، سياسية بثبات الملكيات المطلقة وفكرة الدولة الوطنية – القومية، وثقافية بإحياء التراث الاغريقي والروماني واستقلال اللغات المحلية عن اللاتينية (مراد و فياض، 2017، ص 80) ، وتتعدد الآراء حول تاريخ نشأة الأمم الحديثة وارجاعها الى مرحلة محددة، الفيلسوف جان جاك روسو حددّ مفهوم الأمة في القرن الثامن عشر في كتابه (العقد الاجتماعي)، بارتباط المواطنين بروح عامة مشتركة تجعل منهم أمة، وهو المفهوم الفرنسي الذي أطلق عليه روسو القومية الواعية، أما المفهوم الألماني فيعتمد على وحدة اللغة التي تعتبر روح الشعب وهو يعرف بالقومية اللاواعية، والاختلاف في المفهومين يعود الى التطور السياسي والاجتماعي المتباين للبلدين (حاطوم، ج1، ص 5–7).

ويشير مفهوم الأمة على الوجود المادي للجماعة الانسانية التي تمتلك هويتها المستقلة، وادراك تميزها واختلافها عن غيرها بفوارق عرقية، لغوية، تاريخية، جغرافية، حضارية، أما القومية في الرابطة التي تجمع أعضاء الجماعة التي تعتقد أنها جماعة مترابطة (مراد و فياض، 2017، ص 49–52)، ويعود سبب ظهور الآثار السياسية واتساع الحركات القومية الأوربية بعد 1815م الى تأثير أفكار الثورة الفرنسية 1789م (حاطوم، ج1، ص 101).

أما في مجتمعات العصور الوسطى التي تأسست فيها ممالك قبلية، لم يكن مفهوم الشعب أو الأمة كما تطور لاحقا، كانت علاقة قبائل غازية وشعوب مغلوبة، بمعنى أن قوة السلطة هي التي تصنع الشعب من مجموعات سكانية غالبة ومغلوبة، ولابد من الاشارة الى تطور النظام الاقطاعي الى وحدات شبه مستقلة أو مستقلة تداخل مفهوم الولاء والسيادة والتبعية والمواطنة ما بين الاقطاعية والدولة، ومع ثبات الملكيات المطلقة تطور مفهوم الدولة القومية والأمة بمرور الزمن والتحديات الى جماعات بشرية مترابطة (أمة).

وكانت الوحدة الاجتماعية والثقافية في المجتمعات الجديدة أهم تحديات الممالك الجرمانية وشروط استقرارها، وظهرت الحاجة لخلق اندماج وتجانس في النسيج الاجتماعي المتنوّع بعد تحقق الوحدة السياسية واستقرارها، وقد تنبّه بوقت مبكر الملك ثيودرك ملك القوط الشرقيين لضرورة تحقق هذه الوحدة، وحماية مملكته من الانقسام وتوفير شروط الاستقرار، واستعان لذلك بأشهر مثقفي عصره كاسيودورس مستشارا له لمساعدته في تنظيم دولته، وازالة الحواجز عن وحدة الشعبين، وأدرك كاسيودورس كمثقف محنة الانهيار الروماني وأن الماضي لن يعود، فاقترح عليه تبنّي واصدار قانون المؤاخاة لضمان المساواة الاجتماعية، وازالة عوائق التجانس الاجتماعي بين القوط والرومان المغلوبين، وكتب تاريخ القوط وكتبا أخرى للرومان لكسر الحاجز النفسي والاجتماعي بين الغالب والمغلوب، وقد تحققت رؤية كاسيدوروس وثيودرك الى حدود كبيرة بتطبيق القانون على الجميع، مما سهّل اندماج القوط مع المجتمع الايطالي وثم ذوبانه فيه بعد انهيار مملكتهم.

وتأسست الممالك الجرمانية على أسس قبلية انفردت كل قبيلة بمملكة، كانت السيادة فيها للغزاة والمحاربين الذين استمروا بتماسكهم الاجتماعي القبلي، وتحولوا الى ملوك وأمراء واقطاعيين، وتشكّل المزيج البشري من الغزاة الجرمان والسكان المغلوبين، وتحول هذا المزيج البشري بمرور الزمن الى أمم متجانسة مثل الانجلوسكسون، وأخرى غير متجانسة مثل الامبراطورية الفرنجية، وتكون خليط بشري لاتيني– جرماني– سلافي– كلتي (ولاس، 1979، ص 7)، لكن أغلب هذه الممالك انهارت أو تعرضت للهجرة أكثر من مرة، مثل القوط الغربيين أو التي انهارت أمام بيزنطة مثل القوط الشرقيين

والوندال، وفي هذه المرحلة لم تكن الأصول القبلية في الغالب مصدرا للأزمات طيلة العصور الوسطى، طالما تقبلت المجتمعات القديمة فكرة السيادة والغلبة للمنتصرين، فذاب القوط الشرقيين بالمجتمع الايطالي واندمج البرجنديون والغاليين مع الفرنجة، وفي انجلترا اندمجت مجتمعات الممالك السبعة في مجتمع موحّد، لكن بقيت القبائل في الجزء الشرقي من الامبراطورية الفرنجية في حالة عناد تتحيّن الفرصة للانسلاخ عنها، واستقلت عنها السكسون الشرقيين والبافريون والهنغار وبوهيميا (التشيك الحالية) بعد تفكك الامبراطورية.

وحقق الفرنجة الوحدة السياسية قبل غيرهم، خدمت ظروف كثيرة مملكتهم التي توفر فيها ملوك أقوياء، وأيضا البعد الجغرافي عن ايطاليا مركز الصراعات والحروب، ساعدت هذه الظروف الفرنجة في الثبات بتحقيق وحدة سياسية متماسكة التهمت أغلب الأقاليم والممالك الجرمانية الأخرى، وتميّز ملوكهم بالنزوع الامبراطوري الذي بدأوه بالتوسع في غالة انطلاقا من أراضيهم التي لم يتركوها، ويعتقد بعض المؤرخين أنه السبب الذي جعل بنية مملكتهم أكثر قوة وتماسك من القبائل الجرمانية المهاجرة.

ويسهل تفحّص المكونات الثقافية لمجتمعات الانجلوسكسون والفرنجة بمعرفة التشكل البطيء لهذه الأمم، كونها العوامل الرئيسية لتشّكل الأمم، والروابط التي تؤدي الى تجانس المجتمع، الوحدة الروحية، اللغة.

الوحدة الروحية. كانت الوحدة الروحية متحققة في الممالك الجرمانية الى حد كبير، فقد اعتنقت أغلب القبائل الجرمانية المسيحية قبل اقتحامها الامبراطورية، مثل القوط أو بعدها مثل الفرنجة، حيث دخل القوط المسيحية الأريوسية قبل مؤتمر نيقة سنة 325م، وتدعّمت بين القبائل على يد المبشر أوليفلاس منذ سنة 341م (اليوسف، ص 43)، وكان تحضّر القبائل البربرية الجرمانية وتنصيرها، التحدي الأكبر الذي قامت به الكنيسة في العصور الوسطى الباكرة، عن طريق البعثات التبشيرية واقامة الكنائس والمدارس الدينية، وتحقق الاندماج والتفاعل بين التراث الكلاسيكي والمسيحي والجرماني الذي أنتج حضارة أوربية غربية جديدة (هلستر، 1988، ص 54).

لغة الأمة. تعتبر الرابطة اللغوية من أهم الروابط التي ترتبط بها المجتمعات المتجانسة، بل من أهم مكونات الأمة، ورغم انتشار اللغات أو اللهجات الجرمانية إلا أن اللغة اللاتينية كانت هي المهيمنة بحكم التراث اللاتيني (فرح، الحضارة، 2000، ص 277)، وافتقرت اللغات الجرمانية للتدوين، اللغة الرونية[7] التي كانت تتحدث بها أغلب القبائل الشمالية لم تكن مدونة، وأدى قيام الممالك الجرمانية في المجال الحضاري اللاتيني الى هيمنة اللغة اللاتينية في التخاطب والكتابة الى ما بعد القرن العاشر الميلادي، وكانت اللغة اللاتينية لغة العلم طيلة العصور الوسطى، لكن منذ مطلع القرن التاسع بدأ استخدام لغات غير اللاتينية مصدرها لهجات القبائل الجرمانية، وكان القسم الشهير قسم ستراسبورغ سنة 842م الذي أداه كل من شارل ولويس الجرماني ابنا لويس التقي لتقسيم الامبراطورية بلهجتين مختلفتين، تحولت لاحقا الى لغتين مختلفتين – الفرنسية والألمانية (لو كوف، 2015، ص 145)، وبدأت اللغات الفرنسية والايطالية والاسبانية والبرتغالية ذات الأصول اللاتينية في الظهور والتطور بعد القرن العاشر الميلادي (لو كوف، 2015، ص 17).

الأمة الفرنسية. تميّز الفرنجة بتماسكهم وعدم تعرضهم للتفرق والهجرة كما القبائل الأخرى، فكانت مناطقهم منطلقا لتوسع مملكتهم وضم الأقاليم الأخرى، وبذلك كانت الوحدة السياسية الأساس لبناء الوحدة الاجتماعية والثقافية التي يشكل الفرنجة مركزها، وهو الشكل الأقرب لتوسع الممالك في العصور القديمة، وحقق الفرنجة نجاحا كبيرا ببناء مملكة قوية في الغال، استطاعت فرض هيمنتها على القبائل والممالك المجاورة، وازدادت مملكتهم قوة بعد اندماج الفرع الريبواري معهم وضم البرجنديين وبقايا الغاليين، ولعب عدم الافراط في العنف والتسامح الذي امتاز الفرنجة عن غيرهم من القبائل الجرمانية مع القبائل المغلوبة دورا كبيرا في عملية الاندماج الاجتماعي، مما سهل على ذوبانهم في النسيج الاجتماعي لمملكة الفرنجة، وخلق مجتمع متجانس كانت نواته البنية القبلية الفرنجية (والاس، 1976، ص 18).

ولعب الملوك الأقوياء دورا حاسما في تحقيق وحدة سياسية متماسكة، وكان الفرنجة أسبق من الانجلوسكسون في تحقيق الوحدة السياسية، وقد حقق الملك كلوفيس نجاحات كبيرة بالتوسع وتحقيق وحدة سياسية متماسكة على حساب الممالك والقبائل الأخرى، وبلغت امبراطوريتهم أوجها في العصر الذهبي الكارولنجي، وفرضت الامبراطورية الفرنجية سيطرتها الاجتماعية والثقافية على الأقاليم المجاورة، لكن بعد تفكك وحدتها أخذ الشعور بالفوارق القبلية يزداد في كل من فرنسا وألمانيا (دوسن، 1967، ص 365 – 366)، وكان تقسيم امبراطورية الفرنجة الى قسمين وفق الأعراف الجرمانية سببا في تشكل أمتين لاحقا، الفرنسيون في غرب الامبراطورية والألمان في شرقها (لو كوف، 2015، ص 46).

كان لاعتناق كلوفيس المسيحية الكاثوليكية التي يعتقد أنه كان بسبب تأثير زوجته الأميرة البرجندية نتائج بعيدة المدى على تاريخ فرنسا والبابوية، فهو أول ملك جرماني يعتنق الكاثوليكية في حين اعتنقت القبائل الأخرى الأريوسية، فتحول الفرنجة الى حماة الكاثوليكية، وساهمت الكنيسة بشكل فعال بانتصارهم على القوط وطردهم الى اسبانيا (اليوسف، ص، 79)، وكانت بداية الامتزاج بين الثقافية الجرمانية القبلية مع التراث الروماني في المملكة الفرنجية على عهد الملك كلوفيس بعد استقرار مملكته، باعتماد أساليب الحكم الادارية التي كانت سائدة في غالة، واصدار عملة وضع عليها الحرف الأول من اسمه شبيهة الرومانية، وتدوين القوانيين الفرنجية التي عرفت بالقوانيين السالية (اليوسف، ص 79).

وحقق الفرنجة في العصر الكارولنجي لأول مرة وحدة سياسية وحضارية في أوربا الغربية، وتعتبر نشأة الإمبراطورية الكارولنجية نهاية الثنائية الثقافية التي اتصفت بها سنوات الغزوات الجرمانية، ومهّد قبول الجرمان مبدأ الاندماج والوحدة لظهور حضارة جديدة، كانت مزيجا حضاريا من التراث القديم والمسيحي والجرماني، استمرت فيه التقاليد الجرمانية داخل الإمبراطورية الكارولنجية وخارجها (دوسن، 1967، ص 290)، ومنح اعتناق الفرنجة للكاثوليكية بعد غزوهم غالة تحقق وحدة روحية وثقافية للفرنجة، نالوا ثقة الكنيسة وتأييدها ثم تحول الى تحالف، كان أحد معالم العصور الوسطى ونموذجا للامبراطورية المقدسة (هلستر، 1988، ص 61).

ويمكن القول بأن الأمة الفرنسية تدين لشارلمان، كرس جهوده وقام بأعمال كبيرة لخلق نهضة حضارية، بتبني التعليم وتطويره باحتضان العلماء والمفكرين، هذا المشروع الذي كان الأساس لنهضة أوربا من جديد اتضحت ملامحه في قرون لاحقة، وتطورت اللغة الفرنسية من خليط لغوي لاتيني جرماني بلهجة الفرنجة، وكذلك من انصهار اللهجات الأخرى في غالة نتج عنه لهجتين، سيطرت لهجة الشمال على كامل فرنسا كونها لغة الملوك والثقافة، وأصبحت اللغة الفرنسية المكتوبة لغة التخاطب والأدب من نهاية القرن الحادي عشر، كتبت انشودة رولان بالفرنسية ثم ترجمت الى الألمانية (لو كوف، 2015، ص146 – 147).

ويرى أغلب الباحثين أن الأمة الفرنسية وصلت للعصر الحديث، بفهم الفرنسيين للأمة يقوم على أساس مواطنين اجتمعوا في دولة مشتركة، ويتمتعون بحقوق المواطنة المشتركة، وهذا الفهم وثيق الصلة بتشكيل الدولة كما يرى مينش، فالسلطة الاستبدادية ظهرت من التنافس بين السلطات المحلية الأصغر، وتعزّز هذا النموذج خارجيا من خلال حرب المئة عام مع بريطانيا، وداخليا من خلال الفرض الصارم للكاثوليكية، فالدولة القديمة انتزعت حقوق استقلال المناطق والممتلكات، وعززت بذلك تطور الأمة الموحدة تحت الحكم المركزي للملك، وما فعلته الثورة الفرنسية ما هو الا استكمالا لهذا التطور، وأصبحت جماعة المواطنين ذوي الحقوق المتساوية أمة واحدة موحدة (مينش، 2010، ص 42).

الأمة الانجليزية

أطلق مصطلح الانجلو سكسون منذ القرن السابع على اتحاد القبائل الجرمانية التي سيطرت على انجلترا، الانجليز والسكسون هم أقوى القبائل الجرمانية التي غزت انجلترا قادمة من شمال ألمانيا وجنوب الدنمارك في القرن الخامس الميلادي، تطور لاحقا الى تسمية الانجليز ومنه انجلترا، ولم يكن تأثير الحضارة الرومانية في الجزر البريطانية كبيرا ولم تتأصل فيها، بل كانت سطحية اذا ما قورنت بالتأثيرات في الغال واسبانيا فكان التأثير الروماني في المدن ولم يشمل

الأرياف لم تتحدث اللاتينية كما يرى الدكتور نظير سعداوي، مما جعل التاثير الجرماني الانجلوسكسوني كبيرا على تطورها الحضاري، وهم بدورهم كانوا بعيدين عن تأثير الرومان (سعداوي، 35).

تختلف الممالك الانجلوسكسونية عن الفرنجة كونها قبائل مهاجرة أخضعت السكان الأصليين، وتقاسمت القبائل المتنوعة التي غزت انجلترا الأقاليم وتأسست ممالك متعددة، وخلق التنافس حروبا طويلة بين الممالك شكلت الصراعات عامل عدم الاستقرار، وحاول بعض الملوك التوسع وتوحيد الممالك ولم ينجحوا بسبب التوازنات بين الممالك، لكن تحققت الوحدة السياسية في زمن الملك الفرد العظيم في القرن التاسع بتوحيد الممالك الانجلوسكسونية في مملكة كبيرة في انجلترا بعد حروب دامت ثلاثة قرون بين الممالك المتعددة، وكانت خطواته وبصماته واضحة لتحقيق الوحدة السياسية والتجانس الاجتماعي والثقافي وانضاج مفهوم الأمة، تحت لواء مملكة سويكس التي أصبح ملوكها ملوك لانجلترا فيما بعد، ولقب بالعظيم لنجاحاته السياسية والثقافية في حركة الترجمة الى الانجلوسكسونية (ال طويرش، 2013، ص 36–37).

وبذلك يمكن القول أنها بداية تبلور الأمة الانجليزية بعد نجاح الملك الفريد بتحقيق وحدة ثقافية ولغوية عبر الترجمات الكثيرة من اللاتينية الى الانجلوسكسونية، وتدين الأمة الانجليزية ولغتها الموحدة للملك الفريد العظيم، فاللغة كانت رابطة وعامل للتجانس الاجتماعي والوحدة الثقافية والحضارية للأمة. وقد استقلت الجزر البريطانية عن تأثير الحضارة اللاتينية والبابوية، وتطورت مملكتها تطورا شبه مستقلا منذ عصر تأسيس وليام الفاتح النورماني دوق نورماندي النظم الحديثة في تقسم الأراضي والاقطاعيات، حيث قسمت البلاد بعد الفتح النورماندي عام 1066م الى طبقة حاكمة نورماندية ناطقة بالفرنسية وجمهور شعبي ناطق بالانغلوسكسونية، وكان اتحاد الطبقة الارستقراطية والطبقة الوسطى ضد الاستبدادية الملكية ذروة هذا التطور، بثورات القرن السابع عشر التي أنتجت البرلمان الذي انتخبه المواطنون بصفتهم أحرارا، وفرض القانون للانجليز جميعا بما فيهم الملك، كان الأساس لتشكّل فكرة القومية البريطانية المتمايزة (مينش، 2010، ص 18)، وأصبحت القوة الأولى في أوربا زمن الملك هنري الثاني بفعل مركزية السلطة وقوة ملوكها ونظامها الاقطاعي (لو كوف، 2015، 82)، وساهمت هذه النظم على امتزاج الخليط السكاني من القبائل الجرمانية، الانجليز والسكسون والجوت وبقايا السكان الأصليين من الكلت الذين لم يغادروا الى اسكتلندا وويلز، وكذلك النورمان الذين غزوا انجلترا في القرن التاسع وأسسوا امبراطوريتهم فيها، وكان وقف التأثير والتدخل الخارجي قد تحقق بعد حرب المئة عام (1339–1453م)، وقد تحقق التجانس الثقافي والروحي عن طريق المؤسسة البروتستانتية (مينش، 2010، ص 19).

تشكلت الأمة الانجليزية من خليط القبائل الجرمانية والكلتية، اتضحت ملامحها وتمايزها منذ القرن الحادي عشر الميلادي، وتطورت اللغة الانجليزية القديمة الانجلوسكسونية من امتزاج لهجات القبائل الجرمانية الشمالية الانجلز والسكسون والجوت الى الانجليزية الحديثة، ولا يعرف مدى الفروق بين اللهجات الجرمانية لكنها كانت تتعلق بطريقة النطق، وتوحدت اللهجات بلغة مدونة في زمن الفريد الذي اهتم بتدوين الانجلو سكسونية والترجمة اليها، وهي التي تسمى الانجليزية القديمة (Baugh,2002; p. 45–50)، وتقسم مراحل تطورها الى ثلاث مراحل أساسية، الانجليزية القديمة الانجلوسكسونية وهي خليط من اللهجات الجرمانية الشمالية الرونية Runic التي استمرت الى نحو سنة 1100م، وهي التي بدأ بتدوينها الملك الفريد وتبنيه الترجمة، الانجليزية الوسيطة استمرت حتى سنة 1500م تقريبا وفي هذه الفترة تطورت بالاختلاط مع اللاتينية بصيغتها النورماندية القادمة من دوقية نورماندي، وكان الاعتراف باللغة الانجليزية كلغة رسمية منذ عام 1362م بداية تطور، انبثقت منه أمة متمايزة على أساس الممتلكات ثم على أساس الطبقات الاجتماعية، ثم تحولت شيئا فشيئا الى قومية ذات هوية موحدة، وقد أطلقت ترجمة الانجيل الى الانجليزية عام 1364م عملية ادراج قطاعات أوسع من الشعب (مينش، 2010، ص 18)، وبعدها أصبحت لغة مستلقة عن اللغات اللاتينية والجرمانية، والانجليزية الحديثة بدأت منذ سنة 1500م، ويشار الى أن الانجليزية التي تطورت لاحقا وأصبحت لغة انجلترا منذ القرن الثالث عشر فرضت نفسها رغم وجود اللغة اللاتينية والفرنسية بصيغتها الانجلو نورمانية (لو كوف، 2015، ص 146).

خاتمة ونتائج.

أن عملية تشكّل هوية الأمم الأوربية استمرت لقرون عديدة، ولا يمكن ارجاع عوامل تشكّلها لعامل واحد، مثل الأصول القبلية أو اللغوية أو غيرها، فقد شهدت العصور اختلاط الشعوب والقبائل الجرمانية والكلتية والسلافية واللاتينية والمغولية في أغلب الممالك التي تأسست، أنتج مزيجا من الشعوب المختلطة وحدتّها الولاءات للملكيات والاقطاعيات التي حكمت، وزاد من سهولة الاندماج والتداخل الوحدة الروحية بدخول أغلب القبائل المسيحية، واتضحت معالم شعوب مملكتي الفرنجة والانجلوسكسون وتمايز هاتين الأمتين بوقت مبكر من العصور الوسطى، وزاد من تميّزها ثبات الملكيات وقوتها والحضارة التي بدأت بالتبلور منذ القرن التاسع الميلادي، وساهم تطور اللهجات المحلية وتحولها الى لغات مستقلة وانسلاخها عن اللغة اللاتينية بتعزيز هوية هذه الأمم، وأصبحت اللغة الانجلوسكسونية اللغة الانجليزية لغة التخاطب والأدب وهي مزيج من اللهجات واللغات الشمالية القديمة واللاتينية، أما اللغة الفرنجية الفرنسية التي نتجت من مزيج لاتيني فرنجي، انسخلت عن اللاتينية وأصبحت لغة الأمة والأدب، وبقيت اللغة الألمانية أقرب الى اللغات الجرمانية القديمة.

ونسجل بعض النتائج التي يمكن استخلاصها:

1. أن تسمية جرمانيا والجرمان كانت تطلق على جميع القبائل الشمالية التي سكنت خارج الامبراطورية الرومانية، والألمان هي قبيلة من تلك القبائل.
2. اتضح طموح الفرنجة ونزوعهم الامبراطوري منذ تأسيس مملكتهم زمن الملك كلوفيس الذي بدأ بالتوسع وضم جميع الممالك والتقرب من الكنيسة، وبلغ هذا الطموح أوجه زمن شارلمان بتوحيد الغرب الأوربي والتحالف مع الكنيسة التي توجته امبراطورا على الغرب الأوربي.
3. ينطبق تشكل الأمم وفق الأصول القبلية الجرمانية على الأمة الانجليزية والفرنسية والاسبانية والالمانية بشكل أوضح من غيرها، فقد استطاعت الملكيات المنتصرة من دمج بقية القبائل والشعوب تحت الولاء للتاج الملكي، وبالتالي اندماج السكان وتحولهم الى نسيج اجتماعي متجانس بمرور الزمن بعد تلاشي الفوارق القبلية.
4. أن تشكل الأمة الفرنسية كان أسبق وأوضح من غيرهم، كونهم توسعوا بضم الآخرين ولم يهاجروا، حدث منذ عصر كلوفيس كان الفرنجة نواتها التي تكاثفت حولها المجتمعات الأخرى.
5. انقسم السكسون الى فرعين منذ القرن الخامس، انتقل الأول الى انجلترا ومنهم جاءت تسمية الانغلو سكسون، وتوغل الثاني الى شرق المانيا، وتسمى اليوم مقاطعة سكسونيا ومركزها مدينة درزدن ولايبزك.
6. أن انسلاخ بعض الأقاليم والاقطاعيات وتطورها الى أمم مستقلة مثل البلجيك والسويسريين وغيرهم لم يكن بدافع الأصول القبلية بل هو ناتج عن الحروب الدينية والاقطاعية ونمو بعض الامارات واستقلالها.
7. أن الكتل السكانية التي تشكلت منها الأمة الألمانية هي بقايا مجموعة من القبائل التي لم تهاجر نحو أراضي الامبراطورية، منهم فرع من السكسون.

قائمة المراجع

المراجع العربية

1. الحويري، محمود. اللومبارديون في التاريخ والحضارة، دار المعارف، القاهرة، مصر 1986
2. العدوي، ابرهيم أحمد. المجتمع الأوربي في العصور الوسطى، دار المعرفة، القاهرة، مصر 1961
3. العريني، السيد الباز. الحضارة والنظم الأوربية في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان (د.ت)
4. ال طويرش، موسى محمد. التطور الديمقراطي في بريطانيا، الجامعة المستنصرية، بغداد، العراق 2013
5. اليوسف، عبد القادر أحمد. العصور الوسطى الأوربية، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد، العراق. (د.ت)
6. طرخان، إبراهيم علي. دولة القوط الغربيين، القاهرة، مصر 1958
7. يوسف، جوزيف نسيم. تاريخ العصور الوسطى الأوربية وحضارتها، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان 1987
8. مراد، علي عباس. و فياض،عامر حسن. القومية والأمة مدخل الى الفكر السياسي القومي، العربي للنشر، القاهرة مصر، 2017
9. سعداوي، نظير حسان. تاريخ انجلترا وحضارتها، دار النهضة العربية، القاهرة 1968
10. عاشور، سعيد عبد الفتاح. حضارة ونظم أوربا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان 1976

11. ----------. تاريخ أوربا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية ، بيروت، لبنان 1976
12. عمران، محمود سعيد. معالم تاريخ أوربا في العصور الوسطى، ط2 ، دار النهضة العربية بيروت، لبنان 1986
13. ------ -----. حضارة أوربا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان 1999
14. فرح، نعيم. حضارة أوروبا في العصور الوسطى، اصدارات جامعة دمشق، دمشق، 2010
15. ------. تاريخ أوربا السياسي في العصور الوسطى، اصدارات جامعة دمشق، دمشق 2010
16. رستم، أسد. الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، ج1، بيروت، لبنان 1976
17. رستم، أسد. (1968)، تاريخ أوربا العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 1968

المراجع المعربة والأجنبية

1) بروي، ادوار. تاريخ الحضارات العام، ج3، ت. يوسف أسعد داغر، ط2، منشورات عويدات، بيروت، لبنان 1986
2) بيشوب، موريس. تاريخ أوربا في العصور الوسطى، ت. علي السيد علي، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة 2004
3) دوسن، كريستوفر. تكوين أوربا، ت. محمد زيادة و سعيد عبد الفتاح عاشور، مؤسسة سجل العرب، القاهرة 1967
4) ديفز، هـ، و. أوربا في العصور الوسطى، ت. عبد الحميد محمود، ط1، دار المعارف، الإسكندرية 1958
5) هلستر، ورن. أوربا في العصور الوسطى، ت. محمد فتحي الشاعر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1988
6) والاس، هادريل. أوربا في صدر العصور الوسطى، ت. حياة الحجي، الصباح للنشر، الكويت 1979
7) ولز، هـ، ج. معالم تاريخ الإنسانية، مج 2، ط1، ت. عبد العزيز جاويد، لجنة التاليف والترجمة، القاهرة 1948
8) -------. معالم تاريخ الإنسانية، مج3، ط2، ت. عبد العزيز جاويد، لجنة التاليف والترجمة، القاهرة 1950
9) كين، موريس. حضارة أوربا العصور الوسطى، ت. قاسم عبدة قاسم، ط1، عين للدراسات، القاهرة 1994
10) كين، موريس. حضارة أوربا العصور الوسطى، ت. قاسم عبدة قاسم، ط1، عين للدراسات، القاهرة 1994
11) لانجر، وليان. موسوعة تاريخ العالم، ج1 – 2، ت. محمد مصطفى زيادة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1948
12) لو كوف، جاك. هل ولدت أوربا في العصر الوسيط، 2015، ت. محمد حناوي ويوسف نكادي، وجدة الجزائر
13) مينش، ريتشارد. الأمة والمواطنة في عصر العولمة، ت. عباس عباس، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق 2010
14) موس، سانت. ميلاد العصور الوسطى، ت. عبد العزيز جاويد، عالم الكتب، القاهرة 1967
15) نورمان، كانتور. التاريخ الوسيط ، القسم الأول، ت. قاسم عبدة قاسم ، ط5،عين للدراسات ، القاهرة 1997
16) فيشر، هـ. أ. تاريخ أوربا العصور الوسطى، ج1، ت. محمد زيادة و السيد الباز العريني، ط 4 ، القاهرة 1966
17) راوس، أ، ل. التاريخ الانجليزي، ت. محمد مصطفى زيادة، دار النهضة المصرية، القاهرة 1955
18) راديس، بيتي. فتح بلاد الغال يوليوس قيصر، ت. علي زيتون، ط2، دار علاء الدين، دمشق 2007
19) توينبي، أرلوند. تاريخ البشرية، ج2 ، ت. نقولا زيادة، الأهلية للنشر، بيروت 1988
20) -------. مختصر دراسة للتاريخ، ج1، ط2، ت. فؤاد شبل، جامعة الدول العربية، القاهرة 1966
21) -------. مختصر دراسة للتاريخ، ج3، ط1، ت. فؤاد شبل، جامعة الدول العربية، القاهرة 1964
22) C. Baugh, Albert & Cable Thomas, A History of the English Languege, 5th. Edtion, Routledge, 2002 London.
23) Malcolm Yodd, The Early Germans, Blackwell, uk, 1992

الهوامش

1 التيوتون هو التسمية التي تطلق على جميع القبائل الجرمانية كما سنرى في فقرات لاحقة. الباحث

2 يوليوس قيصر (100–44 ق.م) آخر قناصل الجمهورية الرومانية، حارب القبائل في غالة وكتب مذكراته الحروب الغالية الذي يعتبر أول كتاب يتناول القبائل الجرمانية بالتفصيل. (سعداوي، ص 29)

3 هذا الرأي لا ينطبق على سلوك الوندال أثناء هجراتهم الى غالة واسبانيا ثم الى شمال افريقيا، فكان التدمير والوحشية مرافقا لحركتهم. الباحث

4 يقصد بها الدراسات في الحضارة الاغريقية والرومانية. الباحث

5 كايوس تاكيتوس (56–120 م) مؤرخ ومثقف روماني ويعتبر كتابه جرمانيا أهم كتاب حول الجرمان في العالم القديم. الباحث

6 الاسم الالماني للدولة الالمانية هو دويتش لاند Duetchland الذي يقابله بالانجليزية Germany

7 الرونية Runic هي لغة القبائل الجرمانية ولم تكن مدونة، وجدت بعض الكتابات بالرونية على الصخور بأحرف مسمارية، وتعتبر الانجوسكسونية لغة خليطة من الرونية واللاتينية، لكن تأثير الرونية فيها أكثر من الفرنسية . الباحث